التغيير سنة من سنن الله في خلقه

التغيير والتبديل سنة من سنن الله في خلقه، في كونه، في عباده، في جميع مخلوقاته، فأمر الله تعالى بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون فسبحان من يغير ولا يتغير ودوام الحال من المحال ومرضاة الناس غاية لا تدرك.

وأصل الخلق موت ثم حياة ثم موت، بدأ الإنسان ضعيفاً ثم قوياً ثم ضعفاً وشيبة وفي ذلك.

يقول ربنا: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

وأخبر أيضاً: {وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾} [النحل: ٧٨].

فالإنسان كان في حيز العدم ثم أحياه الله ثم إن عاجلاً أو آجلاً سيموت، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [الجمعة: ٨].

وهكذا يولد الإنسان صغيراً ثم يكبر ويأتي ملك الموت إلى ابن آدم عند موته قائلاً: يا بن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن كسرة خبز تأكلها فلم أجد لك، يا بن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن نفس تتنفسه فلم أجد لك، يا ابن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن خطوة تخطوها فلم أجد لك.

كذلك الأمر يتبدل ويتغير من الصحة إلى المرض فلم يشعر

الصحيح بقيمه صحته إلا بعد مرضه وكما يقال: (الصحة تاج علي رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضي) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :"**اغتنم خمسا قبل خمس...، وصحتك قبل مرضك**"، كذلك الأمر يتبدل ويتغير بين الغني والفقر.

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ} [فاطر: ١٥ - ١٧].

فقد كنت غنياً فأفقرك الله، وقد كنت فقيراً فأغناك الله.

وفي الحديث القدسي:"**إن من عبادي من لا يصلح حاله إلا الغني ولو أفقرته لفسد حاله وإن من عبادي من لا يصلح حاله إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله**".

كذلك التبديل والتغيير بين الشمس والقمر!، هل يجتمعان؟!{لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠].

الشمس خروجها من مشرقها، والغروب في نهاية اليوم، القمر في كسبه للضوء من الشمس وهكذا.

قال تعالى:{وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ: ١٠ - ١١].

وهكذا الأمر يتبدل ويتغير في الليل والنهار، قال تعالى:{إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وقال تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟

لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [فصلت: ٣٧].

قال تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾} [القصص: ٧١ - ٧٢].

كذلك الحال في اختلاف الفصول، في الصيف والشتاء فالناس لا تستطيع المعيشة علي نمط واحد لكن في حاجة إلى دفء الشمس وفي حاجه إلى برد الشتاء وهكذا يتضح: أن التغيير سنة من سنن الله تبارك وتعالي في خلقه.

* * *